مكانة وواقع الدراسات السابقة في المذكرات والأطروحات الجامعية: بحث وثائقيّ

ملخص البحث:

نتناول في هذا البحث الدّراسات السّابقة فنبيّن مكانتها في أعمال البحوث الجزائرية، كونها حلقة من حلقات البحث المؤسّسة له. فانطلاقا من محتوياتها يتمكّن الباحث من رسم معالم بحثه ومن حَبْك إشكاليته حبْكا يجعل بحثه ذا انتماء إلى مرجعيّة نظريّة ومنهجيّة. إذ يفيده اطّلاعه على الدّراسات التي تمّ إنجازها وذات العلاقة ببحثه في استثمارها من حيث الأطر النظريّة والمنهجيّة والميدانيّة، وهذا ما يمكّنه كباحث من جعل تقريره العلميّ يخرج متناسقا في جانبيه النظريّ والعمليّ، فيعود إلى تلك الدّراسات، عند تحليل ومناقشة وتفسير النّتائج الّتي يتوصّل إليها. ومن ثمّ يلمس القارئ تمكّن الباحث من عدمه، من خلال "الذّهاب والجيئة" اللّذين يقوم بهما بين مختلف فصول عمله.

إنّنا سننطلق، لنبيّن واقع تلك الأهمية الكبرى للدراسات السابقة ومكانتها في البحث، من خلال تحليل لمحتوى عيّنة من مذكّرات الماجستير وأطروحات الدّكتوراه ، لاستعراض واقع البحث عندنا لاسيما الكيفية التي تعتمد بها الدّراسات السّابقة، لقد مكّنتنا تجربتنا من الوقوف على تباين كبير بين الباحثين عندما يتعلّق الأمر بهذه الدّراسات، حتّى لأنّ البعض لا يعرف المعنى الحقيقيّ والقصد العلميّ من تناول تلك الدّراسات في بحثه.

1 . مقدمة:

مكنتنا مشاركاتنا في تقييم مذكرات الماجستير وأطروحات الدكتوراه من أن نقف على المعاناة المنهجية للبحث الأكاديمي الجامعي عندنا. فقد لفت انتباهنا ذلك الخلل العام في عدم التجانس المنهجي المتمثل في غياب نموذج عام يقتدي به الباحثون ويستأنسون به، وممّا من شأنه تقريب الرؤى بينهم والتقليل من معاناتهم المنهجية تلك. إن المتتبع للخطوات المنهجية المعتمدة في مذكرات الماجستير وأطروحات الدكتوراه يقف على التباين الموجود فيما بينها لاسيما ما يتعلق بالتقديم والتأخير لبعض الخطوات الأساسية من مثل الإشكالية والفرضيات، إذ هناك من يرى مكانها الفصل التمهيدي أو الفصل الأول من البحث، في حين هناك من يؤجل الحديث عنها إلى أن يفرغ من الجانب النظري، أو ما يتعلق بتناول الخطوة، سواء أكان ذلك بتقديم أم بتأخير، أو عدم تناولها البتة، مما يطرح أكثر من تساؤل حول أهمية الخطوة وجدواها وضرورتها بالنسبة للبحث. ولاشك أن غياب خطوة من الخطوات وإنجاز البحث دونها يؤثر أيما تأثير على جودة البحث عندنا ورقيه إلى مصاف البحوث العالمية.

ومما أثار انتباهنا، كمثال على التقديم والتأخير غير المبرر بل غياب الخطوة أحيانا كثيرة، هو موضوع الدراسات السابقة. فقد خلا الكثير من المذكرات والأطروحات من هذه الخطوة، كما أن

الباحثين عندما يوردونها لا يتقيدون بطريقة منهجية موحّدة و/أو متقاربة في التعامل مع تلك الدراسات، مما يجعل استفادتهم منها منقوصة. ولعلهم هم أنفسهم يجهلون الفوائد الجمة التي يمكن أن يجنوها من تناولها، في أكثر من موقع من البحث، بدء بالإشكالية التي " تبنى تدريجيا: فهي لا تولد فجأة، و مرّة واحدة، ومن لاشيء. بل تبنى من خلال محاولات كثيرة تعتمد على الحدس والفحص المتأني الجدي للموضوع والتساؤلات المطروحة والفرضيات المصاغة ومن خلال مختلف الدراسات السابقة حول الموضوع أو مجال البحث" (Pierre N'Da، 2007، ص. 108) وانتهاء بتدعيم وتفسير نتائج البحث. كما أن الباحث مدعوّ لأن يبرز العلاقة الوطيدة لبحثه بالدراسات السابقة له، ولاسيما ما "يضيفه من إضاءة خاصة وجديدة بالنسبة لتلك الدراسات"(Pierre N'Da، 2007).

ومن هذا المنظور، فإننا نرى بضرورة إعطاء أهمية قصوى لهذه الخطوة في البحث، وعلى المشرفين إدراك تلك الأهمية ومن ثم توجيه طلبتهم إليها والحرص على أن تكون قراءاتهم الأولى واسعة شاملة حتى يتمكنوا من الإحاطة بأكبر قدر من تلك الدراسات. وهذا نظرا، كما سبق، لأهميتها القصوى بالنسبة للباحث، وحاجته إليها بدء من الوهلة الأولى لتفكيره في خوض غمار موضوع بحثه وإلى غاية الانتهاء منه "ولا تقتصر فائدة الدراسة المسحية والقراءة الناقدة للبحوث السابقة، والوقوف على البحوث الجارية ومشكلاتها واتجاهاتها على التوصل إلى مشكلات ودراسات لاستكمال نواحي النقص والفجوات في الدراسات السابقة، فهي تفيد في نواح أخرى كثيرة منها أنها تزود الباحث بأفكار ونظريات وفروض وتفسيرات معينة قد تساعد الطالب على تحديد أبعاد المشكلة التي يبحثها، وهي تتضمن بيانات ونتائج معينة يمكن للطالب أن يستفيد منها في تفسير نتائجه أو في أغراض المقارنة، وهي أيضا تعرفه بأنواع من تصميمات البحوث وطرق وأساليب متعددة ومنوعة في البحث يمكن أن يفيد منها في بحثه" (جابر عبد الحميد جابر و أحمد خيري كاظم، 1978، ص.52)، كما أن الباحث يتمكن من الوقوف، من خلال الدراسات السابقة، على ما تم إنجازه وما لم ينجز بخصوص ما يتطرق إليه من بحث، ومن ثم فإنه يمكن أن يحدد نقطة انطلاقته الأساسية آخذا بالاعتبار ما سبقه إليه غيره من الباحثين بحيث يأتي عمله مكملا لجهودهم ومتناسقا مع ما وصلوا إليه مضيفا لبنة إلى المعرفة الإنسانية، والانطلاق مما وصلت إليه الدراسات السابقة يدل أيضا على حداثة معلومات الباحث فيتفادى، بذلك، التكرار والوقوع في بذل جهد قد لا ينفع، بحكم أن نتائج بحثه قد يكون لا فائدة منها نظرا لأن غيره قد سبقه إليها.

2. أهداف البحث وتساؤلاته:

نهدف، من خلال هذا البحث، إلى أن نؤكد على أهمية خطوة الدراسات السابقة بالنسبة للبحث العلمي الأكاديمي، من خلال وصف واقع مكانتها في بحوثنا (موجودة أو غائبة في بحوثنا، وما نسبة ذلك؟)، من خلال الرصد والتتبع والقراءة المتأنية لمحتويات عينة من المذكرات والأطروحات، والوقوف على نقاط القوة والضعف (أهمية ما تناولته تلك الدراسات) ومن ثم لفت انتباه باحثينا وتوجيههم إلى المقاربة الصحيحة في تناولهم لها في بحوثهم (ما مدى الاستفادة الفعلية منها) ، وهذا نظرا للفوائد الكبيرة المتعددة التي تقدمها للباحث في مجال موضوع بحثه، كما أسلفنا تبيانه، ولنتمكن من ذلك، فإننا نرى بأنه يجب علينا أن نجيب على تساؤلات كثيرة، لعل أهمها:

1. ما هي نسبة البحوث التي تأخذ بالاعتبار خطوة الدراسات السابقة، مقارنة بتلك التي تتجاهلها تماما؟
2. ما هي الجوانب التي تركز عليها تلك البحوث التي تستعرض الدراسات السابقة، وما هي الجوانب الهامة التي يمكن أن تكون قد أغفلتها؟
3. ما هي جوانب الاستفادة الفعلية من استعراض تلك الدراسات، وهل تستثمر حقيقة في البحث، انطلاقا من بناء الإشكالية ووصولا إلى تفسير النتائج؟

3. الإجراءات المنهجية للبحث:

1.3. منهج البحث المعتمد:

نظرا لطبيعة البحث المعتمدة على القراءة النقدية لمحتويات المذكرات والأطروحات، فإن منهج البحث الوصفي هو المنهج الملائم هنا، ولاسيما أحد أنساقه الفرعية ألا وهو تحليل الوثائق المبني على عملية مسح تطال عينات من القراءات حول موضوع البحث "ويختص هذا المسح بحصر الوثائق وتحليلها...حيث يعنى تحليل الوثائق باعتباره أحد الأنساق الفرعية لمنهج البحث الوصفي...ويفيد نمط تحليل الوثائق في عدة أغراض كما يؤكد (برلسون Berelson)، منها قدرته على وصف ظروف وممارسات معينة ... وعلى إبراز الاتجاهات المتضمنة خلالها، وعلى الكشف عن نواحي القصور أو الضعف، وعلى تتبع تطور النشاطات والأعمال، وعلى إظهار الفروق والاختلافات في الممارسات المختلفة...وأن يقوم العلاقات والأهداف المرسومة وما تم تنفيذه فعلا" (صلاح مصطفى الفوال، 1982، ص.157).

2.3. العينة:

تمكّن الباحث من الاطلاع والقراءة المتأنية لـ 102 من مذكرات الماجستير(75) وأطروحات الدكتوراة (27) مما أنجز في علم النفس وعلوم التربية بجامعة الجزائر، في اختصاصات متعددة. وقد تمّ

ذلك بالاعتماد على جملة من المعايير، أهمّها:

1.2.3. ورود خطوة الدراسات السابقة في البحث من عدمه،

2.2.3. موقع الدراسات السابقة في البحث، أي في أي باب أو فصل ورد ذلك،

3.2.3. رجوع الباحث إلى الدراسة السابقة الأصلية، أم أنه مجرد اطّلاع له على ذكر لها من خلال ما أورده باحثون آخرون،

4.2.3. محتويات عرض الدراسة، من مثل ذكر صاحبها، وتاريخ ومكان إنجازها، وعنوانها، والهدف منها، والمنهج والطرائق المتبعة، والعينة، وأدوات البحث وأدوات تحليل النتائج، والنتائج المتوصل إليها، والتعقيب على تلك الدراسات وتبيان أوجه الاستفادة منها في بحثه، واستغلالها في تفسير نتائج بحثه...

3.3. الأدوات الإحصائية: نظرا لطبيعة البحث وكونه وثائقيا فإننا قد اكتفينا في عرض النتائج وتحليلها باستعمال التكرارات والنسب المئوية، ولم نلجأ إلى اختبارات الدلالة الإحصائية، مثلا، لأننا لسنا هنا بصدد تحليل نتائج تصميم تجريبي ولا مقارنة أثر عوامل معينة، أو علاقة متغيرات ببعضها البعض.

4. عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها:

1.4. ورود خطوة الدراسات السابقة في البحث من عدمه:

تمكن الباحث، كما سبق الذكر، من تناول 102 بحث للاطلاع على إذا ما كان صاحب البحث قد تطرق لموضوع الدراسات السابقة في بحثه أم لا، وهو أول معيار تبنيناه لتصنيف تلك الأبحاث. ويبين الجدول رقم (1) نتائج ذلك:

يتبيّن من خلال نتائج الجدول رقم (1) الذي تناولنا فيه تلخيصا لعدد المذكرات (75) والأطروحات (27) أنّ ما يقارب نصف تلك البحوث لم يورد ذكرا ولم يشر لا من بعيد ولا من قريب لموضوع الدراسات السابقة باعتبارها خطوة لا بد منها في البحث، فبالنسبة لمذكرات الماجستير وجدنا أن 41 مذكرة من جملة 75 أي بنسبة 54.67% فقط هي التي أورد أصحابها الدراسات السابقة في بحوثهم، أما بقية الماجستيرات وعددها 34 فقد غاب موضوع الدراسات فيها. وإن هذه النسبة لا تزيد كثيرا فيما يتعلق بأطروحات الدكتوراه، إذ كانت نسبة الورود 51.85% فقط. نستخلص من هذه النتائج أن حوالي نصف المذكرات والأطروحات قد تجوهل فيها موضوع الدراسات السابقة، وإننا، من هنا ندق ناقوس الخطر، ونتساءل عن مدى جدية تلك البحوث ومدى جودتها عندما يتجاهل ما يقارب نصف باحثينا (46.08%) أعمال من سبقوهم في الميدان الذي انبروا للبحث فيه.

جدول رقم (1) يبين درجة البحث وورود الدراسات السابقة من عدم ورودها

	الدراسات السابقة		

درجة البحث	ورودها في البحث		عدم ورودها في البحث		المجموع	%
ماجستير	41	%54.67	34	45.33%	75	73.53
دكتوراه	14	%51.85	13	%48.15	27	26.47
المجموع	55	%53.92	47	%46.08	102	100

2.4. موقع الدراسات السابقة في البحث، أي في أي باب أو فصل ورد ذلك:

حاولنا، من خلال 55 مذكرة وأطروحة ورد فيها ذكر الدراسات السابقة، أن نتبين موقع إيرادها، فوجدنا تباينا بين الباحثين بخصوصها، حتى لأن البعض يؤجل عرضها، ومن ثم تبيان الاستفادة منها، إلى الجانب المنهجي الميداني للبحث، ونحن نعتبر ذلك تقصيرا من مثل هؤلاء الباحثين لأنهم بذلك يكونون لا يعرفون المغزى الحقيقي والفوائد المنتظرة من الدراسات السابقة. ويبين الجدول رقم (2) مواقع تلك الدراسات:

جدول رقم (2) يبين موقع الدراسات السابقة من البحث

	موقع الدراسات السابقة من البحث												
درجة البحث	الفصل التمهيدي أو(فصل الإشكالية)		الفصل الأول (عندما يفصله الباحث عن الفصل التمهيدي)		الفصل الثاني		الفصل الثالث		آخر فصل نظري		بداية الجانب المنهجي الميداني		المجموع
ماجستير	11	%26.83	9	%21.95	4	%9.76	2	%4.88	12	%29.27	3	%7.32	41
دكتوراه	5	%35.71	0	%0	5	% 35.71	0	%0	4	%28.57	0	%0	14
المجموع	16		9		9		2		16		3		55

تظهر معطيات هذا الجدول تباينا كبيرا بين الباحثين، سواء أكانوا في درجة الماجستير أم الدكتوراه. وتؤكّد على عدم وجود رؤية واحدة متفق عليها بين الباحثين، بل نقول بين مديري البحث المشرفين على الطلبة لأنهم يبقون هم الذين يتحملون وزر هذا التباين، في رأينا، فبالنسبة لمذكرات الماجستير تظهر المعطيات اختلافا كبيرا فيما بين الباحثين، فإذا كان يمكن القبول بإيراد الدراسات السابقة في الفصل التمهيدي من البحث (26.83%) أو الفصل الأول (21.95%) أو حتى الفصل الثاني (9.76%)، فإنه، من غير المعقول أن يؤجل ذلك إلى آخر فصل نظري (29.27%)، وبنسبة تفوق ما سبق، أو إلى الجانب المنهجي الميداني (7.32%)، ذلك أن الفائدة المتوخاة من هذه الدراسات تتقلص إن لم نقل تنعدم. وهذا اعتمادا على ما سبق ذكره من كون الدراسات السابقة هي التي يبنى على أساسها البحث، فكان حريا بباحثينا أن ينطلقوا منها لا أن تكون هي مجرد خطوة يتم التعريج عليها. وإن البيانات بالنسبة لأطروحات الدكتوراه لا تختلف كثيرا، في حالها، عما ورد بالنسبة

للمذكرات، فنسبة 28.57% من الأطروحات أجل فيها موضوع الدراسات السابقة إلى آخر فصل نظري.

3.4. رجوع الباحث إلى الدراسة السابقة الأصلية، أم أنه مجرد اطّلاع له على ذكر لها من خلال ما أورده باحثون آخرون:

تباينت قراءات الباحثين بخصوص الدراسات السابقة، فمنهم (وهم قلة) من ركب الصعاب واطلع عليها من مراجعها الأصلية سواء أكانت مذكرات أم أطروحات أم بحوثا منشورة في مجلات علمية محكمة، ومنهم، وهم غالبية من راح يعتمد على مجهود باحثين آخرين ذاكرا ، أحيانا، بصراحة وأمانة، أنه أخذها عن غيره. وندرج الجدول رقم (3) الذي يبين ذلك:

جدول رقم (3) يبين الأعداد والنسب المئوية لنوع
الدراسات المعتمدة أصلية أم مأخوذة عن الغير

درجة البحث	الدراسات السابقة				المجموع
	الرجوع للدراسة الأصلية		مجرد أخذ عن الغير		
ماجستير	17	%41.46	24	%58.54	41
دكتوراه	3	%21.43	11	%78.57	14
المجموع	20	%36.36	35	%63.64	55

تظهر معطيات الجدول رقم (3)، إجمالا، أن 35 دراسة وبنسبة (63.64%)، أي ما يقرب من ثلثي ⅔ الماجستيرات والدكتوراه عندنا لا يرجع أصحابها فيها إلى المراجع الأصلية. وهذا، وأيا كانت المبررات، من مثل قلة المراجع في بلادنا وصعوبة الحصول عليها، مؤشر على نقص فادح في مردودية البحث عندنا، مما يجعل غالبية من بحوثنا في هاتين الدرجتين، من هذا المنظور، تتسم بالسطحية وعدم مسايرة ما يجري من أبحاث في مواقع أخرى، ومن ثم فمعايير المقارنة قد تختل. وإن النسبة لتعتبر كبيرة بالنسبة لأطروحات الدكتوراه، فمن جملة 14 أطروحة لم يرجع إلا 3 باحثون للدراسات الأصلية.

4.4. محتويات عرض الدراسة:

من مثل ذكر صاحبها وتاريخ ومكان إنجازها، وعنوانها، والهدف منها، والمنهج والطرائق المتبعة، والعينة، وأدوات البحث وأدوات تحليل النتائج، والنتائج المتوصل إليها، والتعقيب على تلك الدراسات وتبيان أوجه الاستفادة منها في بحثه، واستغلالها في تفسير نتائج بحثه:

عندما نتتبع المعلومات التي يضمنها الباحثون للدراسات السابقة نفاجأ بضحالتها واقتصارها، في الغالب، على معلومات لا تجعل صاحب البحث يستفيد منها لا في بناء إشكاليته ولا

في صياغة فرضياته ولا حتى في تحليل ومناقشة وتفسير نتائج بحثه. وقد كنا حرصنا، منذ أكثر من عشرين سنة، على أن نعطي اهتماما خاصا لموضوع الدراسات السابقة وأن نضمن عرضنا لها ما يجب أن تتضمنه. فلقد كتبنا في 1985 نقول:"ونظرا لأن هذا البحث يقع في سياق هذه البحوث، إذ يهتم الباحث فيه بدراسة أثر نوع التعليم (أساسي وابتدائي) على اكتساب الاحتفاظ بالسوائل والجوامد و والوزن والطول على أطفال تتراوح أعمارهم بين 7 و10 سنوات، فإنه يرى ضرورة تقديم عرض مفصل عن تلك الدراسات والبحوث لتكون له مرجعا وخلفية علمية يسترشد بها فيما يخطوه من خطوات نحو البحث العلمي الجاد. ويركز في عرضه لهذه الدراسات على توضيح ما يلي:

1.عنوان البحث، 2. الهدف من البحث، 3. فرضياته، 4. اختيار العينة وعددها، 5. المتغيرات المستقلة والتابعة، 6. الاختبارات المستعملة، 7. الأدوات الإحصائية، 8. النتائج المحصل عليها" (رابح قدوري، 1985، ص. 73).

إننا لا ندعي أن ما قمنا به آنذاك يشكل نموذجا يحتذى به، ولكن بالمقارنة مع ما تتضمنه عروض الدراسات السابقة في البحوث الحالية نجدها، للأسف، لا ترقى إلى ما سبق ذكره. ولبيان ذلك نجمل معطيات قراءاتنا لمختلف المذكرات والأطروحات الـ 55 التي سبق الحديث عنها في الجدول رقم (4)، ثم نعود لتحليل ومناقشة مضمونه.

جدول رقم (4) يبين المعلومات المتضمنة في مختلف الدراسات السابقة (55 بين مذكرة وأطروحة)

المعلومة	تكرارها		المجموع
	ماجستير	دكتوراه	
تاريخ الإجراء	7	0	7
مكان الإجراء	3	0	3
عنوان الدراسة	7	4	11
الهدف من الدراسة	14	4	18
فرضيات الدراسة	3	1	4
المنهج والطرائق	0	0	0
العينة واختيارها	15	4	19
أدوات البحث	9	3	12
أدوات تحليل النتائج	1	0	1
النتائج	23	7	30
التعقيب على الدراسة	20	9	29
بيان الاستفادة منها	8	3	11
الاستغلال في تفسير النتائج	27	7	34

تبين معطيات الجدول ضحالة المعلومات التي تضمنها عرض الدراسات السابقة. فقد اهتم الباحثون أكثر بذكر نتائج الدراسات السابقة (30 باحثا)، ثم بالتعقيب عليها (29 باحثا)، ثم بيان عينة البحث (19 باحثا) والهدف من الدراسة (18 باحثا). وقد حاولت الغالبية منهم (34 باحثا) استغلال نتائج تلك الدراسات في مناقشة النتائج التي توصلوا إليها هم، مما يفسر اهتمامهم، بالدرجة الأولى، بذكر نتائج الدراسات. أما البيانات الأخرى عن الدراسة، ورغم أهميتها، فكان حظها قليلا، إن لم يكن منعدما أو شبه منعدم، من مثل:

أدوات تحليل النتائج (باحث واحد بالنسبة للماجستير ولا أحد بالنسبة للدكتوراه) والمنهج والطرائق المتبعة (لا أحد) وكذا فرضيات الدراسة (4 باحثين فقط).

إننا نرجع ضحالة هذه المعلومات إلى أسباب كثيرة، كعدم الوعي بالقيمة الكبرى والفوائد الجمة التي يجنيها الباحث من خلال اطلاعه على الدراسات السابقة اطلاعا كافيا وافيا من مصادرها الأساسية الأصلية، كما أسلفنا تبيانه والتأكيد عليه. علما أن هناك فئة قليلة من الباحثين قد استوفت الدراسات حقها، ونذكر هنا، على سبيل المثال، لا الحصر، بحث مليكة لعقاب (2008) والطاهر سعد الله (1999)، حيث وجب التنويه بعمليهما وندعو، من وجهة نظرنا، الباحثين المبتدئين إلى الاقتداء بعمليهما.

أما التعقيبات عن الدراسات، فإن غالبيتها جاءت في شكل خلاصة للدراسات، ما عدا بعضها القليل الذي حاول أصحابها أن يدلوا برأي أو نقد أو تساؤل، مثلما ورد عند موسى مبراك، وقد نجح في تعقيبه "غير أن هذه الدراسة رغم أنها أكدت على ضرورة عدم الفصل بين المهارات اللغوية المختلفة في تدريس اللغة الانكليزية، لم توضح لماذا تقلّ قيم الترابط بين هذه المهارات كلما ازداد مستوى الدارس اللغوي؟" (موسى مبراك، 2008، ص.35).

وكمثال عن الأهمية الكبيرة للدراسات السابقة بالنسبة للبحث ووعي بعض الباحثين عندنا بقيمة ذلك، مما جعلهم يثمنون ما قاموا به من عرض وتمكنوا من استخلاص العلاقات بين الدراسات السابقة والبحث القائمين به، نذكر ما أورده عمر عمّور في بيان وجه الاستفادة التي جناها من الدراسات السابقة التي عرضها "تعتبر هذه الدراسة بالنسبة لدراستنا بمثابة المحك الذي سيثبت ويدعم نتائج دراستنا حول أثر التدريس بالتجارب في مقابل التدريس بالوسائل الأخرى على نمو التفكير العلمي...كما تمدنا هذه الدراسة والدراسات الأخرى بالمنهج المناسب لإثبات إشكالية بحثنا، كما تمدنا أيضا بالطرق والأدوات المناسبة لاختبار التفكير العلمي، كمقياس التفكير العلمي وطرق قياس صدقه وقياس ثباته وقياس الزمن اللازم لتطبيقه وكيفية تصنيف المقياس وكذا تفسير نتائجه وطرق المعالجة الإحصائية" (عمر عمور، 2007، ص.28).

أما بالنسبة لاستغلال نتائج الدراسات السابقة في تأكيد وتفسير نتائج البحث، فإن الكثير من الباحثين وجدناهم واعين بذلك (34 باحثا من جملة 55) وقد استغلوا نتائج تلك الدراسات وإن كانت بنسب متفاوتة. فعلى سبيل المثال، لا الحصر، نورد ما وجده محي الدين عبد العزيز من ترابط بين نتائج بحثه ونتائج الباحثين الآخرين "وتأتي هذه النتيجة منسجمة مع نتائج عدد من الدراسات

التي جرت حول طبيعة اتجاهات المتعلمين نحو بعض المواد الدراسية، فقد اتفقت، مثلا، (مع نتائج دراسة) صامويل (Samuels) عام 1983، ودراسة صابرو (Saburo) عام 1984 على أن الاتجاهات قد لا تكون إيجابية بسبب عوامل مثل البيئة المدرسية وأساليب التدريس" (محي الدين عبد العزيز، 2001، ص. 235).

ولقد وقفنا، من خلال قراءتنا لتلك المذكرات والأطروحات، على بعض الاعتمادات على دراسات سابقة للبحث ومهمة بالنسبة إليه، ويمكن أن تكون قد قدمت للباحث خدمة أكبر له أكثر من مجرد الرجوع إليها لتأكيد نتائجه أو نفي الارتباط بين نتائجها ونتائج بحثه، لو أنه اهتم بها أكثر وأولاها ما تستحق من دراسة.

5. خاتمة:

تبين نتائج هذا البحث، من خلال دراستنا لخطوة واحدة من خطوات البحث، ألا وهي الدراسات السابقة، معاناة البحث الأكاديمي الجامعي عندنا فهو يفتقر، من خلال نتائج هذا البحث، إلى التجانس وتوحيد الرؤى والخطوات المنهجية. وليس أدل على هذا من كون الباحثين الذين لم يرد ذكر للدراسات السابقة في أعمالهم تقدر نسبتهم بـ 46.08 %، وهي نسبة تقارب النصف. إضافة إلى أن الذين أوردوا الدراسات السابقة غير متفقين حول منهجية محددة، ولا يوجد بينهم حتى مجرد تقارب بسيط حول الموقع الذي تأخذه تلك الدراسات، فإذا كان البعض يعرضها في بدايات عمله، فإن نسبة، من الباحثين، لا يستهان بها تؤجلها حتى الجانب المنهجي أو حتى الميداني من البحث. وفي هذا دليل كبير على عدم التجانس المنهجي للبحث عندنا. أما بخصوص متطلبات العرض وما يتضمنه من الدراسة، فلا وجود لمنهجية معينة مضبوطة يعتمدها أغلب الباحثين، وإنما هناك تفاوتات فيما بينهم، حسب الجهد المبذول وحسب الأهمية المعطاة من قبلهم لهذه الخطوة الحساسة.

إننا، من خلال ما أسفر عليه هذا البحث من مرارة واقع ونقص فادح في تبني إستراتيجية منهجية واضحة موحّدة يتبعها الباحثون في العلوم الاجتماعية والإنسانية، نريد أن ندعو القائمين على البحث وعلى أعلى المستويات أن يسهروا على تنظيم لقاءات وندوات تخص منهجية البحث من شأنها أن تجعل الملتقين يتبنون دليلا منهجيا موحدا للبحوث في إطار الماجستير (أو الماستير) والدكتوراه في بلادنا. ولعلّ أهمّ ما يمكن القيام به هنا، إضافة إلى ذلك الدليل، هو إعادة النظر في محتويات برامج الماجستير وعلى رأسها محتويات مادة المنهجية، إضافة إلى التأكيد على دور برمجة ملتقيات منهجية خاصة يكون الهدف منها تدريب الطلبة على أبجديات منهجية البحث العلمي. وهذا ما

يجري، بالضبط، من حين لآخر، في الجامعات ومراكز البحث العالمية التي تنشد التجديد واستكمال النقص كلما دعت الحاجة لذلك. وفي هذا السياق، فقد قامت سوزان مانفيل Suzanne Mainville (1997) ببحث حول تشخيص صعوبات منهجية البحث في التربية عند طلاب الدراسات العليا في جامعة مونتريال Montréal، مكّنها من الوقوف على أسباب تلك الصعوبات واقتراح حلول لها؛ تقول في المقدمة العامة من بحثها: "إن هذا البحث قد مكن من الوقوف على وجود عدد من صعوبات التعلم المتعلقة بمعايير الصرامة المنهجية عند طلبة الدراسات العليا في التربية. وقد مكن تفسير تلك الصعوبات، أيضا، من فهم أحسن لأسباب ظهورها، ومن ثمة اقتراح استراتيجيات بيداغوجية لتفاديها أو إيجاد حلّ لها. إن هذه الصعوبات قد قادتنا كذلك إلى التساؤل حول ملمح التكوين المنهجي الممنوح في علوم التربية ومدى نجا عته". فلم لا نقوم نحن بمثل ذلك في بلادنا؟

6. المراجع:

1.6. المراجع باللغة العربية:

1. جابر عبد الحميد جابر و أحمد خيري كاظم (1978)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، القاهرة، دار النهضة العربية، ط. 2.

2. سعد الله الطاهر (1999)، علاقة القلق الموضوعي بالقدرة على التفكير الابتكاري لدى طلبة العلوم الدقيقة وعلم النفس (دراسة تحليلية – ميدانية)، دكتوراه دولة في علم النفس المعرفي، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

3. عمور عمر (2007)، أثر ممارسة التجربة العلمية في تنمية بعض قدرات التفكير العلمي، ماجستير في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

4. الفوال صلاح مصطفى (1982)، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، القاهرة، دار غريب للطباعة.

5. قدوري رابح (1985)، دراسة مقارنة لاكتساب الاحتفاظ بالسوائل والجوامد والوزن والطول عند تلاميذ التعليمين الأساسي والابتدائي، ماجستير في علم النفس التربوي، معهد علم النفس والعلوم التربوية، جامعة قسنطينة.

6. لعقاب مليكة (2008)، العوامل الأسرية والنفسية للانتحار والمحاولة الانتحارية، ماجستير في علم النفس الاجتماعي، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

7. مبراك موسى (2008)، بحث واقع التحصيل الدراسي ومعالجة إشكالية الضعف في مادة اللغة الفرنسية لدى تلاميذ السنة الأولى من التعليم المتوسط بولاية الجزائر، ماجستير في علوم التربية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

8. محي الدين عبد العزيز (2001)، أثر المعرفة المسبقة للأهداف التعليمية في اتجاهات التلاميذ نحو مادة علوم الطبيعة والحياة وتحصيلهم الدراسي فيها، دراسة تجريبية على تلاميذ المرحلة الثانوية، دكتوراه دولة في علم النفس التربوي، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

2.6. المراجع الأجنبية:

9. N'Da P., (2007), Méthodologie et guide pratique du mémoire de recherche et de la thèse de doctorat en Lettres, Arts, Sciences humaines et sociales:

Informations, normes et recommandations universitaires, techniques et pratiques actuelles, Paris, Harmattan

10. Mainville S. (1997), Exploration d'une méthodologie du diagnostic des difficultés dans le cadre d'un cours de méthodologie de la recherche en éducation, Thèse présentée à la Faculté des études supérieures en vue de l'obtention du grade de Docteur en Philosophie (PhD) en éducation option fondements de l'éducation, Université de Montréal, Département d'études en éducation et d'administration de l'éducation, Faculté des sciences de l'éducation.

Résumé : la place et la réalité des études antérieures dans les travaux de mémoires et thèses universitaire

Quelle est la place qu'occupent les études antérieures dans les travaux de recherches algériennes? En partant des contenus de ces études antérieures, le chercheur arriverait à asseoir une esquisse de sa recherche et à élaborer sa problématique de manière à ce que son travail soit lié à un domaine de recherche bien situé et appartenant à une référence théorique et méthodologique. Il aurait recours à ces études, entre autres, aussi lors de l'analyse et la discussion des résultats de son travail. Une lecture exhaustive de l'ensemble de son rapport (mémoire ou thèse) témoignerait du niveau des capacités et des compétences acquises par le chercheur, à travers ses efforts déployés, notamment en cherchant l'harmonie et la complémentarité entre les différents chapitres de son travail.

En partant de l'analyse des contenus d'un échantillon de travaux de mémoires de magistère et de thèses de doctorat, nous voudrions bien arriver à situer la place que donnent nos chercheurs aux études antérieures dans leurs travaux. L'expérience nous a montré que des divergences, à différents niveaux de la recherche, sont à signaler quand il s'agit de la prise en considération de cette étape méthodologique nécessaire et indispensable, à nos yeux, par nos chercheurs. IL nous semble qu'une partie de nos chercheurs ignore l'intérêt bien fondé de tel outil pour leurs travaux de recherche.